مجهود ضائع

للكاتبة الانجليزية مرجريت كنيدى

بقلم الأديب احمد فتحى مرسى

أيقن (نك كايتور) فى ربيعه الثالث والعشرين أنه لن يوفق فى اختيار زوجة صالحة بعد أن رأى أصدقاءه يلقون بأنفسهم فى هوة لا سبيل إلى النهوض منها

قال مرة لصديقه كميرون فى ثورة من ثوراته على الزواج :

— إن ذلك الزواج العصرى لا يخرج عن كونه موتا محققا — إن الرجل العاقل لا يمكنه أن يقف مكتوف اليدين إزاء امرأة تملى عليه إرادتها . إن هؤلاء النساء العصريات مندفعات طائشات ... ولا أعلم لماذا يتهافت الرجال ويرتمون على أقدامهن أغلاء ضعفاء ؟.. فتمتم صديقه قائلا :

— سيأتى دورك يا صديقى ، وسترى أنك أول من يتهافت عليهن

— لن ترى ذلك فى حياتك يا كميرون

— هذا صحيح ولكن لا تنس يا صديقى أنك رجل وهم رجال ؟ !

وأعقب ذلك برهة صامتة أطرق فيها (نك) برأسه مفكراً . إنه لا يعتقد أنه مثل هؤلاء الرجال ... إن كل أعماله وتصرفاته تدل على أنه يختلف عنهم جد الاختلاف . لقد كان ممتازا فى جميع مراحل عيشته وأدوار حياته . لقد كان أرزن منهم فى مدرسته ، وأذكى منهم فى جامعته ، وأعقل منهم فى ميدان حياته ، وأرغد منهم فى عيشته المنزلية . لقد كان يملك قصراً فى سانت مارى بضاحية شوبشير يعيش فيه مع أمه الشفيقة التى كان يعبدها من كل قلبه ، ويقدسها من أعماق نفسه ؛ ولقد كان موتها هو الصدمة الوحيدة التى تلقاها (نك) فى حياته .

ثم قال أخيراً :

— إن زوجتى يجب أن تكون ملمة بكل شىء ، عالمة بواجباتها جد العلم ؛ يجب أن تكون مهذبة عاقلة ؛ يجب أن تكون سليمة الذوق حسنة الاختيار تخضع لأمرى ، وتنصاع لرغبتى ، ولا تدلى إلىّ برأيها إلا إذا سألتها ذلك . فقال صديقه (آلان) وكان جالساً بالقرب منه فى لهجته التهكمية :

— الأفضل أن تكون صماء خرساء . . . ثم استطرد (نك) كأن لم يسمع تهكم صديقه :

— يجب أن تكون جميلة الوجه باسمة الثغر ، تبذل ما فى وسعها لأسعادى ؛ وبالطبع يجب أن تكون أيضاً متدينة متواضعة ... فصاح آلان :

— مسكينة هذه الفتاة ! مسكينة هذه الفتاة !

— لقد أفرطت فى الخمر أيها العجوز . لن تكون مسكينة قط ، بل ستكون أسعد فتاة على وجه البسيطة . . . فقال كاميرون :

— ليس هناك فتاة تجمع كل هذه الصفات يا (نك) ؛ وأؤكد لك أنك لن تجد بغيتك بين فتيات العالم ... اللهم إلا إذا أتيت بطفلة وربيتها كما تحب ...

— أصبت يا صديقى . . . هذا ما سأفعله !

— ماذا ! قالها كاميرون فى دهشة

— لقد فكرت فى ذلك ملياً ، وأخيراً قر عزمى على أن أبحث عن طفلة بتيمة أتوسم فيها الذكاء ، أرسلها إلى قصر سانت مارى لتنشأ فى

كنف عمتي (أليس) وتحت رعايتي النشأة التي أريدها . فقال آلان ضاحكا :

— إنني لم أسمع في حياتي بمثل هذه الفكرة . أتعني أنك ستسجنها في قصرك في سانت مارى ؟

— كلا ... كلا ليس هذا ما أعني . لن تكون دائماً في سانت مارى ؛ بل كثيراً ما سأرتاد وإياها مطالع الفن ودور الموسيقى حتى أهذب من طباعها وأرقق من ذوقها ، وأجعل منها تلك الفتاة التي تسعدني في حياتي . لن تتعلم شيئاً لا أرغب فيه ، ولن تحظى بمعرفة شيء لا أريده لها . فقاطعه آلان هازئاً

— كفى كفى يا صديقي ... أرجو أن تسمح لنا بالانصراف

* * *

مضى نك يبحث عن ضالته غير عابئ بهزء أصدقائه وسخرية الناس منه . ولكن أنى له أن يجد طفلة يتيمة ؟ لقد كانت المربيات ينظرن إليه نظرة شك وارتياب رغم تهافتهن على من يتبنى هؤلاء الأطفال . ولقد نما مرة إلى سمعه أن هناك امرأة في كدمنستر تأوي الأطفال اليتامى ، فأسرع إليها ظانا أنه سيعثر على ضالته المنشودة ، ولكن خاب ظنه فقد وجد أن أكبر الطفلات لا تتجاوز الخامسة من عمرها ؛ وهذا معناه أنه لن يتزوج حتى يبلغ الأربعين

واستأنف نك بحثه فلم يثبط الفشل المتواصل من عزمه ، ولم يكسر هزء الأصدقاء من رغبته .. فقصد ذات يوم إلى ملجأ للأيتام في الضواحي بعد أن قدمه صديق له إلى مديرة الملجأ ، ودعته هذه بدورها لزيارته ؛ فلما وصل إلى الملجأ جلس ينتظرها في الحديقة ... وكان المكان جميلاً ، والحديقة رائعة التنسيق على الرغم من بساطتها . فجلس نك يسبح في أفكاره إلى أن استرعى نظره فجأة طفلة تبكي بالقرب منه

لقد كانت تبكي لأنها — كما قالت — فقدت شريطها الأزرق في الحديقة . وقبل أن تنتهي من وصف الشريط والمكان الذي سقط فيه . . . قال نك لنفسه :

— لقد وجدتها . . . لقد ظفرت بها أخيراً

كانت جميلة الوجه ، ساحرة العينين ، لم يشوه رداء الملجأ الأصفر من جمالها الرائع . ولقد أصاب كايثور في شعرها الأصفر ، وفي عينيها الزرقاوين غاية مناه ... ما اسمها يا ترى ؟... « سالي كريجان » إنه اسم ظريف ، وكم عمرها ؟ : ثلاث عشرة سنة . حسن ثم حسن ، أمامها الوقت الكافي لتتعلم ... وهل هي ذكية ؟ أراد أن يتأكد من ذلك فقال :

— أتتعلمين هنا ؟

— نعم ؛ « قالتها في تنهد عميق »

— وما الذي درست اليوم ؟

— لقد نسيت

وهنا أطرق كايثور في حزن ، ولكنه لم يكتف بهذا القدر من الأسئلة فقال :

— أتحفظين قواعد الرحمة السبع ؟

— نعم أحفظها ... ثم أخذت في عدها على أصابعها في تؤدة وتثبت مما أدخل في روعه أنها على جانب غير قليل من الذكاء ... ولكن ماذا عن الموسيقى والغناء ؟ أتراها تجيد الغناء ؟

أخذت تغني أمامه أغنية الصيف ، فبدا صوتها عذباً جميلاً ، وغناؤها موقعاً ملحناً كأنه غناء البلبل في هدأة السحر

— هذا جميل !

وجلس كايثور معها على مقعد خشبي في الحديقة ثم أخذ يحدثها عن الطبيعة ، ثم عن قصره في

سانت مارى ، وعن جمال موقعه ، وعن ذلك النهر الذهبى الذى يجرى من خلفه ، وعن روعة ما يحيط به من الحدائق وما يتخللها من زهر رائع الأفواف وما يكتنفها من مناظر الطبيعة التى تسحر العيون وتبهر النفوس

وأخيراً بعد هذا التمهيد الطويل سألها فى هدوء عما إذا كانت ترغب فى الذهاب لتقيم معه فى سانت مارى . ولقد رأى نفسه متسرعاً فى توجيه هذا السؤال قبل أن يقابل مديرة الملجأ ولكنه كان مشوقاً إلى معرفة رأى فتاته الصغيرة . فسألته وقد بدت الدهشة فى عينيها :

— أنقيم وحيدين فى ذلك القصر الكبير ؟

— هناك أيضاً عمتى أليس ، وستحبك كثيراً

— إننى لا أحب العمات . لقد كانت لى عمة كثيراً ما كانت تضربنى على أذنى . وفى تلك اللحظة طرق سمعهما رنين الناقوس ، فقفزت الصغيرة فى خوف قائلة :

— لقد انتهى الدرس وستخرج المربيات فيجدننى هنا ويعاقبننى . . . إنه ليس مسموحا لنا بدخول الحديقة . . وأسرعت الى الباب الصغير الذى يصل الحديقة بملعب الأطفال ، ولكنه كان موصدا . . فصاحت فى خوف :

— ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل الآن ؟ لقد كان هذا الباب مفتوحا منذ هنيهة ! . . لماذا استبقيتنى بجانبك ؟

— لا تخافى ياعزيزتى ... لن أدعك تعاقبين . سأقول لهن إنى استبقيتك

— كلا كلا ... يجب أن تساعدنى على أن أتسلق الحائط الى الملعب ... هيا أسرع ! أسرع !

وأشارت الى حجر كبير مثبت فى جانب الحائط فصعد طائعا ، ولكنه أبصر فوق السور قطعا صغيرة من الزجاج مثبتة فى أعلى البناء ، فغمغم قائلا :

— أظن أنه ليس هناك من يستطيع أن يتسلق هذا السور وهذا الزجاج منثور عليه ، فملت وجهها غمامة من الحزن ، وأخيرا قالت فى سرعة :

— إذن دعنا نذهب الى سانت مارى ... إننى لا أحتمل عقابهن !

— يجب أن نستأذن المديرة أولا يا عزيزتى

— إنها ان تدعنى أذهب معك قط قبل أن تكتب الى والدى ووالدتى

— الى من ؟ قالها فى دهشة

— الى والدى ووالدتى ... وهناك أسابيع طويلة قبل أن يصل الرد

— ماذا ؟ ماذا ؟ ألك والد ووالدة ؟ ... إذن لست يتيمة !

— كلا ... أ كنت تعتقد ذلك ؟

— بالطبع كنت أعتقـــد ذلك ! ... وماذا تفعلين فى ذلك الملجأ ؟

— هذا غريب ! أتدعو المدرسة ملجأ ؟

— لست إذن بفقيرة ؟ فرفعت وجهها فى كبرياء ثم قالت :

— فقيرة ! إننى خامسة أغنياء العالم إن والدى تيودور كريجان الثرى الأمريكى المعروف ... قالت ذلك فى غضب مما جعله يغمغم معتذرا فى طريقه الى الباب ... حقاً لقد قرأ أن الثرى الأمريكى كريجان أرسل وحيدته الى إحدى مدارس انجلترا خوفا عليها من رجال العصابات فى أمريكا ... وهنا أدرك كابثور خطأه ، فقد دخل هذه المدرسة ظنا منه أنها الملجأ الذى يقصده

* * *

مضت بعد ذلك فترة من الزمن خلا فيها الى نفسه وانقطع عن العالم ، وجفا أصدقاءه لما أوسعوه

من هزء وسخرية ؛ إلا أنه بعد ستة أشهر من ذلك جرت على ألسنة أصدقائه إشاعة مؤداها أن كايثور عثر على الفتاة التي يرجوها في مقاطعة بروفنس ، وأحضرها معه الى انجلترا ... ثم تفرق أصدقاؤه بعد ذلك ، فسافر كميرون الى كينيا ورحل آلان الى استراليا ، ثم انقضت سبع سنوات قبل أن يسمع أحدهما شيئاً عن كايثور ؛ ولكن شاء القدر أن يجمعهما به بعد هذا العمر الطويل فعادا الى انجلترا سويا ، وما علم كايثور بذلك حتى كتب اليهما يسألهما زيارته في سانت ماري بعد هذا الغياب الطويل ، ليجددوا عهد الشباب الزاهر ، وليستعيدوا ذكريات الماضي السعيد ؛ فلبيا طلبه وهما أشد ما يكونان شوقا لرؤيته ، وتشوقا لمعرفة ما صنعه طوال هذه الفترة

تلقتهما عمته (أليس) على باب القصر في بشر وترحيب ، فلما دخلاه أخذا يجولان بعينيهما في نواحيه ، ويرسلان بصرهما في أرجائه وأبهائه ليريا ما عساه قد جد ... ولكن كل شيء كان على ما هو عليه من قبل ، حتى الزهور الصناعية الموضوعة على المائدة كانت هي بعينها التي اعتادت والدة كايثور أن تضعها قبل موتها

ولما جلسوا إلى المائدة أثار دهشتها أنها معدة لخمسة أشخاص ! لمن هذا المقعد الخامس يا ترى ؟ أهناك ضيف ثالث . . . ولماذا يتلفت كايثور حوله كأنما يتوقع حضور أحد ؟

وأخيراً بعد برهة من الحيرة والتساؤل وقع نظرها عليها وهي تهبط الدرج ... لقد كانت طويلة كشجرة الحور ، سوداء كظلام الغابة ، ضيقة العينين يشع منهما بريق مخيف ، بارزة الخدين صغيرة الأسنان من غير تناسق ولا توافق ... وبالجملة لم تكن انجليزية الخلقة — من أين أتى بها يا ترى ؟ أهي أسبانية ؟ أم هي من الشرق ؟

تململ كاميرون في جلسته ، ومر آلان بيده على جبهته ، ثم وقفوا جميعاً عندما بلغت نهاية الدرج وأخذ كايثور يدها وعلى ثغره ابتسامة فخر ونصر وقدمها الى صديقيه باسم « استرا » ثم أخبرهما على المائدة أنها تنتمي إلى قبيلة نوريه وأن جدها وهبه إياها منذ سبع سنوات ؛ ثم قال :

— وبالطبع كانت لا تعرف إذ ذاك كلمة انجليزية ، وقد كان هذا جميلاً ، فقد أتاح لي فرصة تثقيفها بكل ما أحب ، وأظن أنها تتكلمها الآن كاحدى بنات انجلترا

— بل أكثر من ذلك ... إنها تتكلم الآن أربع لغات أوربية ، فضلا عن أنها تعرف قليلا من اليونانية ، وشيئاً من اللاتينية . ولقد أتحت لها فرصة الاطلاع على زبدة الأدب الأوربي ، وخلاصة الأدب الشرقي . وأعقب ذلك برهة من الصمت ثم قال :

— إن لها ذوقا حسناً في الاختيار ، وبالرغم من قرب عهدها بالموسيقى تجيد العزف على البيانو والقيثار وسنسمعها سوياً بعد الغداء .....

وانتقلوا بعد تناول الغداء إلى غرفة الموسيقى حيث أسمعتهم قطعة على القيثار ، ثم أخذت تغني لهم أغنية نورية ، فبدت في نبراتها مسحة من الخشونة ، ولاح في صوتها شيء من الجفاء ، وغلب على وجهها طابع الجمود الحسي ، ورانت على الغرفة هدأة عميقة ، والكل يصغون كأنهم تحت حلم مزعج لا سبيل إلى الخلاص منه . والحقيقة أنها كانت جلسة مملة للصديقين

ولما أقبل الليل وآوت أسترا إلى مخدعها خلا كايثور إلى صديقيه يستطلع رأيهما ... أما كاميرون فخاف أن يصدم صديقه وغمغم بكلمات التهنئة ، وأما آلان فقال :

— والله ما أدرى أى شىء فيها أثار إعجابك فجعلك تعلمها اليونانية واللاتينية و .... ثم أردف متهكما كعادته :

— لعلها كانت جميلة عندما عثرت بها !

وبدا الغضب فى وجه كايثور ولكن آلان لم يعبأ به ومضى متابعاً كلامه :

— هل ... هل ستتزوجها ؟ ... وأعقب ذلك فترة من الصمت ثم أجاب كايثور فى تردد

— بالطبع هذه رغبتى منذ أتيت بها

— وهل هى تعلم ذلك ... أعنى هل فاتحتها فى هذا الشأن ؟

— لقد شبت وهى تعلم ذلك ولم يبق إلا أن نحدد الموعد

— باللخجل :... وإذا كان كاميرون قد خشى أن يدلى برأيه فى أول الأمر فان صراحة آلان مع كايثور شجعته على ذلك فتدخل فى الحديث ، وظل النقاش قائماً بينهم إلى وقت متأخر من الليل

* * *

وفى صباح اليوم التالى كان الحزن بادياً على وجه كايثور . كان يشعر بأن آماله تحطمت وأن جهوده ذهبت أدراج الرياح ؛ ولم يمض طويل من الوقت حتى اصطدم بآلان للمرة الثانية ... فثار آلان قائلا :

— إنها جافة الطباع ... وأظن أن الأفضل أن تتركها تمضى لسبيلها . إن كل ما لقنته إياها لم يهذب من طباعها ... إنك تعتقد أنك تحبها ، ولكن لا أظنك تحبها إلا كما يحب الفنان ما أبدعت يداه

— إنك تهذى أيها الرجل ولا تفهم ما تتكلم عنه !

— بل أفهمه كل الفهم ... إنك لا تعرف إلى الآن ما هى حقيقة الحب

ولم يطق كايثور أكثر من ذلك ، فقطع النقاش واستدار مولياً وجهه شطر الباب ... لقد كان على وشك أن يعين موعد زواجه قبل أن يزوره صديقاه . حقاً إنه لم يحادث استرا فى هذا الشأن ، ولكنه يعلم جد العلم أنها تجاريه فى رغبته . أما عمته (أليس) فقد رأى منها أنها لا تنظر إلى هذا الزواج بعين الرضا وإن لم تصارحه بذلك . وأما أصدقاؤه فهاهم يعارضونه أشد المعارضة . ماذا يفعل يا ترى ؟ جلس يفكر ويفكر علّه يستقر على رأى ، أو يثبت على عزم ، ولكن بدون جدوى ... وفجأة أفاق من تفكيره العميق فقد وقع نظره على فتاة فى الحديقة أثارت دهشته .. أبصرها خلال نافذة المكتبة وكانت عارية الرأس ، شقراء الشعر ، ذات ثوب أزرق قصير ، ورآها تجمع ثمار التوت من الحديقة آمنة مطمئنة كأن ليس للحديقة من يملكها .

قام مغضباً ونزل إلى الحديقة مسرعاً ثم صاح بها :

— ماذا تفعلين يا هذه ؟

ولكنها بدل أن تجفل منه كما كان يتوقع استدارت إليه فى تؤدة وقالت :

— أهذا أنت يا ..... وخيل إليه أنه يعرف ذلك الوجه . وجعل يفكر أين رآه من قبل — ولكنها قطعت عليه حبل تفكيره قائلة :

— إنك لم تحدثنى عن هذا التوت اللذيذ ، لقد حدثتنى فقط عن القصر والحديقة وعن النهر ، وأؤكد لك أنك لو حدثتنى لادعيت أننى يتيمة وصحبتك إلى هنا

— أهذه ... أهذه أنت يا سالى ؟

— لا تقل إنك لا تعرفنى ، إن وجهك لم يتغير

— وأظن أن وجهك أيضاً لم يتغير كثيراً

— لقد كنت أفكر فى زيارتك طوال هذه السنين ، أفكنت تفكر فىّ ؟

وأعقب ذلك فترة من الصمت . . . والحقيقة أنها لم تخطر على باله ؛ ولكنه لم يشأ أن يقول لها ذلك . فقال :

— بالطبع يا سالى ... كنت أفكر أفيك ... ولكن ما الذى جعلك تتذكرين زياتى الآن ؟

— إننى لم أكن فى انجلترا بعد أن تركت المدرسة

— وأين كنت إذن ؟

— فى الخارج ... وقد راق لنا أن نقوم برحلة هذا الصيف فى ربوع انجلترا ... فلما بلغنا (لادلاو) مساء أمس وجدت قصر سانت مارى على الخريطة فقصدت توا إلى هنا

— راق لنا ... راق لمن ؟

— لوالدى ووالدتى . . . إننى لست بتيمة بعد .. أين النهر الذى حدثتنى عنه ؟

فقال مشيراً إلى ما وراء القصر ، فى هذه الجهة ... أترغبين فى رؤيته ؟

— أجل ... أعطنى قبعتك فان الشمس شديدة الحرارة

ففعل طائعاً ؛ وسارت معه فى صمت — وبرغم أنه لم يرها إلا مرة واحدة من قبل فقد كان يشعر نحوها شعوراً خفياً مخالفاً جد المخالفة لذلك الذى يشعر به نحو استرا ... ولم يساوره مثل هذا الشعور من قبل إلا عند ما كان جالساً بجانب سالى فى حديقة المدرسة ، قال :

— ولكن حدثينى كيف قضيت هذه السنين الطويلة ؟

فأخذت تسرد عليه ما زارته من البلدان ، وما طافت به من الممالك ، إلى أن قالت أخيراً — وماذا عنك ؟ ... ألم تتزوج بعد ؟

— كلا ... نعم نعم إننى ... فقاطعته يخيل إلىّ أنك غير متأكد من ذلك

— إن الأمر لم ينته بعد ... ولكنه فى حكم المنتهى

— ألم تخاطبها فى ذلك ؟

— كلا ... أعنى نعم لقد ... ولكنها قاطعته وهى تشير بيدها جهة اليمين :

— ما هذه البوابة الجميلة ... دعنا نمر منها

ولم يتكلم كايثور وهو يفتح لها البوابة ، ولكنها عادت تقول :

— يجب أن تحدثنى عنها — أهى يتيمة ...؟ يلوح لى أنك شديد العطف على اليتامى

وجعل كايثور يحدثها عن أسترا إلى أن قالت أخيراً :

— وهل هى موافقة على هذا الزواج ؟

— بالطبع إنها موافقة عليه

— إذن لماذا لم ينته الأمر بعد ؟

— إن أصدقائى يعارضون فى ذلك

— إذن هذا هو السبب . . . ثم قالت وهى تنظر فى ساعتها :

— أظن أنه آن لى أن أعود ... ودارا على عقبيهما وسارا تجاه الباب دون أن يلفظ أحدهما بكلمة واحدة ؛ وكانت سيارتها واقفة فى جانب الطريق ، وكان مظهرها يدل على أنها حقاً خامسة أغنياء العالم ، قالت :

— لماذا لا تأتى لزيارتنا فى لادلاو

وقبل أن يقدر كايثور معنى ما نطق به قال :

— الأفضل ألا أفعل . ولكنها قالت فى سرعة :

— إننا فى فندق « الثلاث ريشات »

ثم انطلقت السيارة كالسهم المارق . وهنا فقط

أدرك كايثور أنه نسي قبعته

* * *

جلست السيدة كريجان في فندق الثلاث ريشات تنتظر ابنتها في شيء من القلق ، فقد كانت تخشى عليها من قيادة السيارة بنفسها . وأخيراً هتفت في سرور :

— شكراً لله . . . فقد رأت سالي وهي مقبلة عليها من أعلى الدرج

— من أي مكان في العالم أتيت بهذه القبعة يا سالي ؟

— إنها قبعته

— إذن لقد قابلته

— نعم لقد قابلته . وأخذت تقص على أمها كل شيء ، فقد كانت لا تخفي عنها خبراً ثم قالت أخيراً :

— إنني أشعر بميل غريب إليه . ولا أعلم لماذا علك على مشاعري

— ولكن ما الفائدة ما دام سيتزوج من هذه الفتاة التي تدعى ... ما اسمها ؟

— استرا ... ولكن لا يمكن أن أصدق ذلك ... لقد رأيتها في الحديقة قبل أن أقابله تحادث رجلاً ذا قميص أزرق وتمده بالزواج وقد عرفتها بعد ذلك من وصف كايثور . أما الرجل فلم أتبين وجهه

وفي صباح اليوم التالي ظهر كايثور في فندق « الثلاث ريشات » ... لقد قال إنه جاء ليسترد قبعته . . وكان الحزن باديا على وجهه . ولما سألته سالي عن السبب لم يحاول أن يكتمه عنها ... والحقيقة أنه كان في حاجة إلى قلب يعطف عليه ... وقد وجده في سالي . قال لها في حزن :

— لقد حطمت استرا اليوم كل ما بنيته من الآمال ... على رغم كل ما بذلته في سبيل تثقيفها ، ورغم كل ما ضحيت به في سبيل إسعادها ، تريد اليوم أن تتزوج من رجل آخر يدعى توبنج

وبدا في نبراته شيء من الألم الدفين ، ولاح في صوته ما يخالجه من الحزن واليأس ، وظهر في عينيه ما تكتمهما من الدموع ... إنه ليبدو أليماً حقاً أن يقضي حياته في تثقيف فتاة وتهذيبها وإعدادها لتكون زوجة لرجل آخر ... أخذت سالي تسري عنه وتخفف من وطأة حزنه ، ومن حدة ثورته ، ثم اقترحت أن يخرجا في نزهة قصيرة ولكن إلى أين يا ترى ؟ ... قال كايثور :

— أشاهدت قامة لدلاو الأثرية ؟

— أتعني ذلك البناء القائم في خارج المدينة ؟

حسن ... انتظرني حتى أحضر قبعتي ... .

وخرجت سالي ولكنها لم تسرع باحضار القبعة ؛ بل صعدت متباطئة وأخذت تقلم أظافرها في تكاسل ، ثم أبدلت ثوبها ، وأكثت حطابا لها ، وجلست صامتة ، وقد بدا السرور في عينيها ... وأخيراً أقبلت عليها أمها تقول :

— إن صديقك في انتظارك أكثر من ساعة يا سالي ... إنك قاسية في معاملته

— ولكني سأتزوج به

— أحقاً ما تقولين ؟

ونظرت الأم إلى ابنتها فرأت الجواب في عينيها ، فضمتها إلى صدرها وقبلتها قبلة حارة طويلة ... حقاً إن كايثور غير جدير بزواج خامسة أغنياء العالم ، ولكن أسرة كريجان كانت من الديموقراطية بحيث لم تكن تبحث عن الجاه والمال ، بل كانت تبحث عن سعادة بناتها

أحمد فهمي مرسي